

آثار الخوارج الشعرية: دراسة تحليلية نقدية

عاصم شحادة علي*

بدري نجيب زبير**

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أغراض شعر الخوارج ومدى علاقته بمبادئهم التي دعوا الناس إليها وقتلوا من أجلها، وتكمن مشكلة الدراسة في أن عدد شعر الخوارج كثير جدا، ولكنه ورد في المصادر العربية القديمة في نتف شعرية أو أبيات، وأن بعض هذه الأبيات قد أصابها البتر، ولذلك سوف تقوم دراستنا بتتبع شعر الخوارج وتقسيمه حسب أغراضهم في نظمه، وهي: الأغراض الدينية، والرثاء، والزهد، والمديح، والهجاء، والفخر، وأخيرا خصائص شعر الخوارج. وقد خلصت الدراسة إلى التزامهم في قصائدهم في خط واحد في إطار عقيدتهم، وكان معظم الشعراء من زعماء المذهب الخارجي ينطلقون في شعرهم من مخاطبتهم للمشاعر والوجدان، وعدم تناولهم لعقائدهم في شعرهم، وظهور العصبية لدى بعض زعمائهم في الشعر، وخروج بعضهم عن قوانين القصيدة الجاهلية، وتجديد شعرهم في لغة الشعر، وكان شعرهم عبارة عن نتف أو مقطوعات شعرية في أغلبيه، وبرز أثر القرآن الكريم فيه، وأخيرا كان شعرهم تعبيرا عن الأنا ونحن، إطاره المذهب الخارجي وغايته حب الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الخوارج-آراء دينية- أغراض الشعر- أثر القرآن- الخصائص

* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة الإسلامية العالمية، بماليزيا.

** أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة الإسلامية العالمية، بماليزيا، وعميد كلية معارف الوحي

والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية، بماليزيا.

Abstract:

The study aims at explaining the purposes of the Khawarij poetry and their relation to the principles that the group fought for. The problem statement is that the number of Khawarij poetry was many but were mentioned and recorded most of the time not in full but in fragments. In this regard, the study will resort to categorize these poems according to their purposes and themes: religious, panegyric, asceticism, praise, satire and self-glorification. The characteristics of the poems will also be explained. The study concluded that they are unified in their doctrine of belief, most of the poems of their leaders did address the self and feeling. It is noted also that they did not directly expose their belief in the poems and most of the time they took the form of fragments. The traces of Quran was also present in them and finally the themes were mostly about 'I and We'; the framework of the poems was the Khariji sect with the purpose of the love of The Almighty God.

Keywords : The Khawarij – Religious Views- Purposes of poem – Traces of the Quran – Characteristics

Abstrak:

Kajian ini bertujuan melaporkan tema-tema syair *Khawārij* dan sejauh manakah perkaitan tema-tema tersebut dengan prinsip-prinsipnya yang sangat kuat dipertahankan. Permasalahan kajian menjurus kepada bilangan syair *Khawārij* yang banyak tetapi hanya sebilangan kecil sahaja yang terdapat di dalam sumber-sumber Arab lama dan sebahagiannya lagi telah dilupakan. Dengan itu, para pengkaji akan menjejaki syair-syair *Khawārij* kemudian membahagikannya mengikut tema tertentu iaitu: keagamaan, ratapan, pertapaan, pujian, cemuhan dan kebanggaan, di samping meletakkan ciri-ciri syair *Khawārij*. Kajian ini merumuskan bahawa mereka berpegang teguh dalam syair mereka dengan bentuk yang sama dalam lingkungan pegangan aqidah mereka, kebanyakan penyair *Khawārij* adalah terdiri daripada kalangan pemimpin yang memulakan syair dengan pengucapan tentang perasaan dan hati. Ia juga mendapati mereka tidak menyentuh tentang aqidah dalam syair mereka, terdapat unsur perkauman di kalangan sesetengah pemimpin, mereka tidak berpegang kepada peraturan syair Jāhiliyyah, terdapat pembaharuan dari segi bahaa syair, kebanyakan syair *Khawārij* pendek berupa potongan-potongan, terdapat juga pengaruh Al-Qur'an dan ia merupakan ekspresi berbau kegoan yang lingkungannya ialah mazhab *Khawārij* dan tujuan utamanya ialah kasihkan Allah.

Kata kunci: *Al-Khawārij* – pendapat keagamaan – tema syair – pengaruh Al-Qur'an – ciri-ciri

تمهيد:

يذكر الدارسون لشعر الخوارج بأن عدد شعراء الخوارج كان وفيراً، وأن بعضاً من شعرائهم اشتهروا بالإكثار ومنهم: عمران بن حطان، وقطري بن الفجاءة، وعمرو القنا،

والرّهين المرادي، وعبيدة بن هلال اليشكري، وسُميرة بن الجعد، وغيرهم. ومما يلاحظ في شعر الخوارج، أنه لم يرد في المصادر القديمة سوى نتفة لهذا الشاعر أو لذلك، وأن كثيراً من شعرهم قد أصابه البتر.

أما السبب في تحليل هذه الظاهرة فله تخریجات عدة منها: ربما كان بعض المؤرخين أو الرواة قد تعمدوا إهمال شعر الخوارج - كرهاً أو تجنباً لإثارة خصوم الخوارج عليهم؛ وثمة آخرون اهتموا بشعرهم وأخبارهم، فنقلوا لنا بطولاتهم الحربية وشجاعتهم، كما ورد في كامل المرد، وتاريخ الطبري، وأنساب البلاذري؛ وثمة تحليل يضاف إلى إهمال الرواة منها: أن الخوارج لم يتخذوا الشعر حرفة يتكسبون بها، ولم يتعاطوه فناً للمباهاة بل هو وسيلة لحاجة آنية ليس غير، ولعل موت كثير من هؤلاء الشعراء في الحروب كان سبباً رئيساً لضیاع شعرهم. ودراستنا هذه محاولة وجيزة تواصل جهود المعاصرين في تناول الظاهرة وبيانها بشكل مختصر للقارئ؛ لأن المصادر القديمة ذكرت شعر الخوارج ومبادئهم في أبيات مبعثرة هنا وهناك؛ ولذلك سوف نتناول هذه الأبيات ونبين غيرها أغراض شعر الخوارج.

آثار الخوارج الشعرية وأغراضهم:

وأما شعراء الخوارج فقد استعرض أحد الباحثين ديوان الخوارج، ووجد عدد شعرائهم قد بلغ ٩٧ شاعراً، فيهم عشر نساء.

وذكر الباحث^١ أن (٥٤) شاعراً من الخوارج لم يتجاوز الواحد منهم القصيدة الواحدة، وكانت مقطوعات تسعة منهم بمعدل بيت يتيم واحد، وقصائد سبعة غيرهم بيتان، وأكثر مقطوعات الآخرين في حدود بضعة أبيات، ولم يتعد هذا العدد من الأبيات سوى أربع قصائد، وكان أبرز شاعرين في هذا الديوان قطري بن الفُجاءة، الذي خلف لنا ثلاثاً وعشرين قصيدة، وعمران بن حطان، الذي وصل إلينا من شعره خمس وأربعون قصيدة، والطرمّاح بن حكيم الذي كان من فحول شعراء العصر الأموي.

وعند تدقيق النظر في ترجمات الشعراء، نجد أن معظمهم كانوا من زعماء الخوارج، وقادة الرأي، والفرسان والعلماء والمجتهدون والمحاربين، ومما يلاحظ -أيضاً- أن أكثر هؤلاء الشعراء جاؤوا من مختلف القبائل العربية باستثناء قريش.

هذه ملاحظات عامة تناولت الشعراء من الخوارج، الذين ترجم لهم في المصادر القديمة كتاريخ الطبري (المجلد الثامن)، والكامل للميرد (المجلد الثالث)، الجاحظ في البيان والتبيين، وتاريخ الذهبي، وأنساب العرب للبلاذري (المجلد الثامن)، ومعجم الشعراء للمرزباني، الأغاني للأصفهاني (المجلد العشرون)، وغيرها من المصادر القديمة التي ترجمت لهم ترجمات غير وافية وضعيلة جداً، بحيث لا تكشف مواقفهم في سلم المسؤولية عند الخوارج.

أغراض الشعر الخارجي:

إن محاولة تلمس الموضوعات التي تناولها شعراء الخوارج بقصائدهم تواجهها صعوبات جمة تتمثل في التداخل الكبير في هذا الشعر لدرجة يصعب فيها فرز أغراض الشعر؛ ذلك أن بعض أبيات هذه القصيدة أو تلك يصح أن يكون في غرض معين، وفي الوقت نفسه تصلح أن تكون في غرض آخر أو أكثر، فهذه تصنف في إطار موضوع آرائهم الدينية والسياسية مثلاً، وفي الوقت نفسه تصنف في غرض آخر كالزهد أو المدح. أما أهم الأغراض التي دار حولها شعر الخوارج فكما يأتي:

أولاً: الدعوة إلى آرائهم الدينية والسياسية:

ثمة قضيتان أساسيتان تستحوذان على تفكير الخوارج وسلوكهم السياسي والعسكري، وهما: التحكيم والشرائية، أما غير ذلك فلا يعدو أن يكون نتائج أو روافد لهما.

١- قضية التحكيم:

فقد استحوذت عليهم قضية التحكيم التي وافق عليها الإمام علي رضي الله عنه، مما حدا بشعراء الخوارج إلى إعلان الثورة المسلحة على الإمام علي رضي الله عنه، يقول فروة بن نوفل في ختام قصيدته:^٢

وَفَارَقْنَا أَبَا حَسَنٍ عَلِيًّا فما من رجعةٍ إحدى الليالي
فَحَكَّمَكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَمْرًا وذاك الأشعريُّ أخوا الضَّلالِ

فهو يعلن أن فراقهم لعلي رضي الله عنه هو فراق أبدي لا رجعة عنه، وذلك لأنه حكّم الرجال من أهل الضلال، ويقصد بذلك أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، وعمرو بن العاص رضي الله عنه، وقد كان عتاب الخوارج لعلي أول الأمر خفيفاً معتدلاً، ثم ما لبثوا أن أعلنوا مفارقتهم له رضي الله عنه كما ذكرنا آنفاً.

وثمة موقف لأحد الخوارج الشّراة بعد قبول التحكيم، والذي يعلن فيه هذا الرجل براءته من ذلك، ويلعن الصحابة علياً ومعاوية وعمراً رضي الله عنهم، يقول هذا الرجل من الخوارج: ^٣

أبرأ إلى الله من عمروٍ وشيعته ومن عليٍّ ومن أصحابِ صفينِ
ومن معاوية الطّاعني وشيعته لا بارك الله في القوم الملاعينِ

وقد ورد عن عبد الله بن وهب الراسبي زعيم الخوارج ما يؤكد موقفهم من قضية التحكيم:

نقاتلكم كي تلزموا الحق وحده ونضربكم حتى يكون لنا الحكمُ
فإن تتبعوا حكم الإله يكن لكم إذا ما اصطلحنا الحق والأمن والسلم

ومن ذلك رجز شريح بن أوفى يوم النهراون: ^٤

اقتلهم ولا أرى عليًّا
ولو بدأ أوجرتَه الخطيًّا

وقد قال أحد الخوارج في مقتل علي رضي الله عنه: ^٥

دَسَسْنَا له تحت الظلام ابن مُلجمٍ جزءاً إذا ما جاء نفسا كتابها
أبا حسنٍ خذها على الرأسِ ضربةً بكفٍّ كريمٍ بعد موت ثوابها

وقد ظلّ ذكر التحكيم يتردد لدى شعراء الخوارج، بعد أن استحوذ على مشاعرهم، طوال العصر الأموي، حيث كان يلهب مشاعرهم، ويشحذ حماس مشاعرهم.

٢- الشراية والخروج:

فرض الخوارج على أنفسهم واجب الخروج الذي يفرض عليهم مقاتلة مخالفيهم من المسلمين الذين ضلوا السبيل وانحرفوا عن جادة الصواب، وحرصاً منهم على شراء أنفسهم في سبيل الله، وإخراجهم للمسلمين الذين خالفوهم من دائرة الإسلام، وعدّوا ديارهم ديار كفر، ودعوا إلى أن يرحلوا عنها، فلا تجوز الإقامة بين ظهرانيهم، وهم في خروجهم يتتغون إرضاء الله وتنفيذ أمره.

يقول الصحاري بن شبيب وهو من الخوارج:^٦

إتني شارٍ بنفسي لرّبي تاركٌ قليلاً لديهم وقالوا
بائع أهلي ومالي أرجو في جنان الخلد أهلاً ومالاً

ويقول أبو بلال مرداس بن أدية في الخروج حين ألح ابن زياد في طلب الخوارج، فعزم أبو بلال على الخروج:^٧

إلهي هب لي زلفَةً ووسيلةً إليك فإني قد سئمت من الدّهر
وقد أظهر الجورَ الولاةً وأجمعوا على ظلم أهل الحقِّ بالغدر والكفر
وفيك إلهي إن أردتَ مغيّراً لكل الذي يأتي إلينا بنو صخر
فقد ضيقوا الدنيا علينا برُحبها وقد تركونا لا نقرُّ من الذُّعر
فيا ربّ لا تُسلمْ ولا تك للردى وأيدُّهم يا ربّ بالنّصر والصّبر
ويسّر لنا خيراً ولا تحرمّتنا لقاء ذوي الإلحاد في عددٍ وثر
فلسنا إذا جمّعت جموعُ عدونا وجاءوا إلينا مثل طامية البحر
نكفّ إذا جاشت إلينا بحورهم ولا بمهايبٍ نحيد عن البتر
ولكننا نلقى القنا بنحورنا وبالهام نلقى كلّ أبيض ذي أثر
إذا جشأت نفس الجبان وهللت صيرنا ولو كان القيام على الجمر

وما دام الخوارج قد اختاروا الحرب للدفاع عن مبادئهم، فلا بدّ أن تكثرت مواقعهم وحروبهم، ومن البدهي أن يكثر شعر الحرب في ديوانهم؛ لأن الحرب من أقوى المظاهر وأدعائها لإثارة قرائح الشعراء، وإظهار مواهبهم الفنية. وقد خاض الخوارج الحروب وهم يعتقدون أنهم أهل الحق، وأن واجبهم الديني يفرض عليهم تحرير غيرهم من المسلمين، لذلك أخذوا يتسابقون إلى الحرب، واستعدّوا الموت في سبيل حياة خالدة، وكان هدفهم إعادة الحق إلى نصابه، وإقامة حكم الله بين الناس، فحاربوا بشدة وهم يستقبلون أسنة الرماح، وهم يصيحون: "الرواح الرواح إلى الجنة".^٨

فالقصيد التي نظمها مرداس بن أدية تعتبر من أجمل القصائد في وصف شجاعة الخوارج وثباتهم عند اللقاء.

أما صورة البطل عندهم فهي ذات صلة بعقيدهم، فهم لا يعيرون اهتماماً لتكوينه الخلفي أو أصلته وحسبه، ولكنهم يركزون على شجاعته ومقدرته واستماتته في طلب الشهادة.

وأكثر ما تتمثل صورة البطل الخارجي في شخصية الشاعر قطري بن الفجاءة الذي كان فارس الأزارقة، وكانت شجاعته مضرب الأمثال، حتى قيل: ^٩ "ما استحيا شجاع أن يفرّ من عبد الله بن حازم السلمي وقطري بن الفجاءة".

ولقطري قصيدة تشجّع أجبن خلق الله كما وصفها ابن خلكان في الوفيات،^{١٠} ويكمن جمال هذه القصيدة في الحوار الذي بدأه الشاعر مع نفسه، فإذا هو إنسان كباقي الناس، تشدّه الحياة إليها، ويأخذه الفزع عند رؤية الأبطال، فكأنما هي غريزة الحياة أو البقاء التي تصارع القدر، وترفض الموت والفناء، ولكي لا يقع فريسة سهلة أمام نفسه التي تدفعه إلى التخاذل، فقد أخذ يشحذها بالإرادة والعزم، ويدفعها إلى الصبر والثبات، لأن إرادة القدر لا تدفع، والموت أمر لا مُحالة واقع، فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون، فيقول قطري: ^{١١}

أقول لها وقد طارت شجاعاً من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم
فصبراً في مجال الموت صبراً
ولا ثوب البقاء بثوب عز
سبيل الموت غاية كل حي
ومن لا يُعْتَبَطُ يسأم ويهرم
وما للمرء خير في حياة
على الأجل الذي لك لم تطاعي
فما نيل الخلود بمسْتَطاع
فيطوى عن أخي الخنع اليراع
فداعيه لأهل الأرض داعي
وتُسَلِّمُهُ المنون إلى انقطاع
إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المتاع

والخوارج لا يجدون حرجاً أو عاراً عليهم إذا تحدّثوا عن قتلى أصحابهم من الخوارج، وقد قطعت رؤوسهم وأذرعهم في أرض المعركة، ولا يرون حرجاً في التحدث عن هزائمهم، فقد وصف قطري قتل صاحبيه نافع بن الأزرق وابن ماحوز بالمصيبة التي منيت بها الأزارقة، والمصيبة التي تفوق ذلك كله خوفه من المهلب، فهو البطل المغوار الذي لا يجد ضيراً من الاعتراف بالهزيمة أمام هذا القائد الفذ الذي قهرهم، ونفاهم عن مواقعهم في الأهواز، ويعود قطري بعد هذه الصراحة ليزرع الثقة في نفوس عساكره، فيخاطبهم بلسان القائد الأمين لواجباته، الواعي لمسؤولياته، فيرسم لهم طريق المستقبل بالجهاد والصبر وطلب الاستشهاد:

ألم يأتها أني لعبت بخالدي
وأنا أخذنا ماله وسلاحه
فلم يبق منه غير مهجة نفسه
ولكن مُنيناً بالمهلب إته
وجاوزت حدّ اللّعب لولا المهلب
وسقنا له نيرانها تتلهب
وقد كان منه الموت شبراً وأقرب
شجى قاتل في داخل الحلق منشب

حيث يعترف قطري بالهزيمة أمام المهلب.

وقد تطرق شعراء الخوارج في شعرهم إلى الأسلحة التي كانوا يلجؤون إليها، وهي تتمثل بالقوى المعنوية والتغني بالشجاعة وأن عزّهم صدور القنا وعادتهم قتل الملوك، يقول ابن أبي مِيّاس المرادي في هذا المعنى: ^{١٢}

ونحن ضربنا، يا لك الخير، حيدرأ
أبا حسنٍ مأمومةً فتفظّرا

ونحن حللنا ملكه من نظامه
وعادتنا قتل الملوك وعزنا
بضربة سيف إذ علا وتجبرا
صدر القنا إذا لبسنا السُنورا
ونحن كرام في الصباح أعزة
إذا الموتُ بالموت ارتدى وتأزرا

وكان الخوارج من الشعراء يشنون حملاتٍ شديدة على خصومهم، فيقللون من شأنهم، ويحطون من قدرهم، ويرمونهم بأشنع التهم، فهم -في نظرهم- أناس من المرتزقة الحيرية الذين لهجوا بالإلحاد والكفر، يطيعون الجبارين الظالمين من ذوي السلطان، وقد تخلى الله عنهم فلا مولى لهم، فأصابهم الجبن بكفرهم.

أما السلاح المادي فقد كتبوا الكتاب المدحجة، وتسربلوا بحلق الحديد، وألبسوا الكرايس عدة الحرب والقتال، واهتموا بالخيل وتعلقوا بها، فمما يشير إلى تعلقهم بالخيل، ما دار بين الأعرج المعني -وهو من الخوارج- وزوجته من تلاوم بسبب اهتمامه الزائد بجواده، ووصل به الأمر إلى تفضيله عليها في ساعة الشدة حين يأخذها الفرع، يقول الأعرج المعني:^{١٣}

أرى أمَّ سهلٍ ما زال تَفَجَّعُ
تلوم على أن أمنحَ الوردَ لقحةً
تقوم وما أدري علامَ توجَّعُ
وما تستوي والورد ساعة نزعُ
إذا هي قامت حاسراً مشمعةً
نخب الفؤاد رأسها ما يُقنَّعُ
وقمت إليه باللجام مُيسَّراً
هُنالِكَ يجزييني بما كنتُ أصنعُ

ومن أسلحة الحرب التي جاء ذكرها في شعرهم: السيف والرمح، والدرع السابغة (الواسعة)، والمغفر الحصين، والتجفاف، والسنور.^{١٤}

ثانياً: الرثاء:

يعتبر الرثاء في شعر الخوارج أكثر الأغراض كماً، ويمكننا تعليل كثرة الرثاء في شعر الخوارج بسبب طبيعة حياتهم التي كانت سلسلة متصلة من المعارك والحروب، فكثرت القتل فيهم بسبب ذلك.

والفكرة في الرثاء لا تختلف في كثير أو قليل سواء أكان المرثي أخواً من جهة الأب والأم، أم كان أخواً في العقيدة والمذهب، أو قتل الخوارج الذين سقطوا في مواقع القتال. ومن هذه القصائد قصيدة مليكة الشيبانية ترثي أباها:^{١٥}

من لجاراتك الضعاف إذا حلَّ بها نازلٌ من الحدثانِ
من لضيفٍ يتتاب في ظلمة الليل إذا قلَّ مُترل الضيفان
لسوف أبكي عليك ما سمعت أذناي يوماً تلاوة الفرقان
أين من يحفظ القرابة والصهر ويؤتي لحاجة اللهفان
ويحوط المولى ويصطنع الخير ويجزي الإحسان بالإحسانِ

ولها قصائد أخرى ترثي فيها عمها، وترثي الضحاك بن قيس الخارجي، حيث تصف عاطفتها تجاههم.

وثمة قصائد أخرى لأم عمران الراسبي ترثي بها ولدها عمران الذي اقتتل مع القائد الأموي الحجاج بن باب الحميري، وقصيدة لامرأة من الخوارج ترثي فيها أباه وأباها وزوجها وأمها وعمها وخالتها مع الضحاك بن قيس الشيباني الحروي فتقول:^{١٦}

مَنْ لِقَلْبٍ شَفَّهَ الْحَزْنَ	أَوْ لِنَفْسٍ مَا لَهَا سَكْنَ
ظَعْنَ الْأَبْرَارُ فَارْتَحَلُوا	خَيْرَهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ ظَعَنُوا
مَعْشَرٌ قَضَّوْا نُحُوبَهُمْ	كُلٌّ مَا قَدْ قَدَمُوا حَسْنَ
صَبَرُوا عِنْدَ السَّيُوفِ فَلَمْ	فَلَمْ يَنْكَلُوا عَنْهَا وَلَا جَبْنُوا
فَتِيَّةٌ بَاعُوا نَفْسَهُمْ	لَا وَرَبَّ الْبَيْتِ مَا غَبْنُوا
ابْتَغَوْا مَرَضَاةَ رَبِّهِمْ	حِينَ مَاتَ الدِّينَ وَالسُّنْنَ
فَأَصَابَ الْقَوْمَ مَا طَلَبُوا	مِنَّةٌ مَا مَثَلَهَا مِّنْ

أما رثاء الزوجات فقد كان عادياً، شأنهم شأن من فقد عزيزاً، فنجد مثلاً الشاعر بيهس بن صهيب قد عاد إلى قبر زوجته لزيارته وتقديم التحية له، ثم يصور لنا كيف يتناول ليله ويجافيه النوم، من حرارة الشوق وألم الفراق، ونسمع مالك المزموم ينادي

زوجته المتوفاة من غلب عليه القنوط، وبعدها يعجب كيف رضيت المقام في ذلك المكان البلقع الذي يخشاه الشجعان، وهي التي عرفها بشدة الخوف، وتنفجر عاطفته حين يذكر طفلته التي خلفتها وراءها، تتنّ لهم في آناء الليل، وتمنعهم من لذة السبات، فلا يستطيع حبس دموعه التي تنهمر على وجهه، ومن ذلك قوله في رثاء زوجته أم العلاء:^{١٧}

أمّ العلاء فنأدها لو تسمعُ	أمّزُرُ على الحدثِ التي حلّتْ به
بلداً يَمَرُّ به الشجاع فيفزع	أنتى حلّتِ وكنتِ جدّاً فَرُوقَةً
إذ لا يلائمك المكان البلقعُ	صلى الإله عليك من مفقودةٍ
لم تدرِ ما جَزَعُ عليك فتجزعُ	فلقد تركتِ صبيةً مرحومةً
فتبيتُ تُسهر ليلها وتفجعّ	فقدتِ شمائل من لزامك حُلوةً
طفقتُ عليكِ شئون عيني تدمع	فإذا سمعتِ أئينها في ليلها

أما نظرة الخوارج للحياة والموت فقد انعكست على رثائهم مباشرة، فخرج الشاعر عن إطاره التقليدي في التفجع والبكاء الحزين، فصاروا يغبطون قتلاهم على فوزهم بالشهادة، ويتمنون للحاق بهم لينجوا من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة، فيجددون العزم للحاق بهم، فيكون ذلك دافعاً للتضحية والقداء، كما في قول حيّان بن ظبيان عند رثائه لقتلى الخوارج:^{١٨}

ولا إربية بعد المصابين بالتهر	خليليّ ما بي من عزاءٍ ولا صبر
إلى الله ما تدعو وفي الله ما تفري	سوى نهضاتٍ في كتائبٍ جمّةٍ
فلست بسارٍ نحوها آخر الدهر	إذا جاوزت قسطانة الرّيّ بغلتي
قريباً، فلا أحزيكما، مع من يسري	ولكنني سارٌ وإن قلّ ناصري

وكثيراً ما يتخذ الشعراء من الخوارج الرثاء مناسبة لتأكيد التزامهم بخطى أسلافهم الذين جبلوا على تقوى الله، أحبوه فأحبهم، واستضافوه فأنزلهم غرف الجنان العلاء، يقول قيس بن الأصمّ في رثاء قتلى النخيلة من الخوارج عند الجوسق:^{١٩}

إني أدين بما دان الشراً به
 التافرين على منهاج أولهم
 قوماً إذا ذكروا بالله أو ذكروا
 ساروا إلى الله حتى أنزلوا غُرفاً
 ما كان إلا قليلاً ريث وقفتهم
 حتى فنوا ورأى الرائي رؤوسهم
 فأصبحت عنهم الدنيا قد انقطعت

يوم النخيلة عند الجوسق الخرب
 من الخوارج قبل الشك والريب
 خروا من الخوف للأذقان والركب
 من الأرائك في بيت من الذهب
 من كل أبيض صافي اللون ذي شطب
 تغدو بها قُلص مهريّة نجب
 وبلغوا الغرض الأقصى من الطلب

أما شاعر الإباضية فقد حوّل مراثيه المطولة إلى حديث طويل عن بطولات الشراة في الحروب ومآثرهم في القتال، ومزايهم الإنسانية السلوكية. ويمثل ذلك مراثية عمرو بن الحصين العنبري لأبي حمزة المختار وأصحابه من الشراة، فرى الشاعر بعد أن يتمنى سلوك سبيلهم، يعود ليغدق عليهم الصفات العالية الكريمة، فيصفهم بالصبر والثبات عند حومة الوغى، وأنهم أعفَاء عند العسر واليسر، ويتحدث عن إيمانهم وتقواهم وما جبلوا عليه من حبّ الله، وإكباب على تلاوة كتابه، والعمل بما يرضيه، واجتناب ما نهى عنه، ثمّ يعود بعد ذلك ليتخذ من أبي حمزة وبعض أصحابه النموذج الحيّ للخوارج المثاليين الذين عبرهم يمتدح جميع الخوارج، فإذا هم بالصفوة من الرجال الذين يخوضون المعارك، ويتركون الهوى، عندهم الشهامة والمروءة، وفي نفوسهم النقاوة والطهارة، وعلى ألسنتهم الطلاقة في كتاب الله، وحرارة الإيمان تغلي في صدورهم، فتجيش زفراتٍ وتصعيداً، وهم سهام على أعدائهم، يخوضون غمرات القتال دون وجلٍ أو فرع.

ويستمر الشاعر في كيل الثناء على أصحابه حتى ينسى قارئ القصيدة أن الموضوع رثاء، إلا أنه ينهي قصيدته بذكر أن أصحابه القتلى أصبحوا مصرّعين تنتهشهم أنياب الوحوش.

فالقصيدة تتكون من (٥٦) بيتاً، تبدأ بقوله: ^{٢٠}

هَبَّتْ قُبَيْلُ تَبْلُجِ الْفَجْرِ هَنَدٌ تَقُولُ وَدَمْعُهَا يَجْرِي

وختمها كما ذكرنا بذكر أصحابه:

صـرعى فـخاويـة بيـوتهم وخوامع لحمـانهم تفـري
وثمة مرثي النساء لأبنائهنّ خالية من الحزن والتفجع، فأمر عمران الراسبي وجدت في
مقتل ولدها استجابة لدعوته التي طالما ردها، ليرزق القتل بأيدي غادرة، تقول في رثاء
ابنها يوم قُتل مع نافع بن الأزرق يوم دولا ب: ^{٢١}

اللّهُ أَيَّدَ عـمـرَانَ وطهـره وكان عمرانُ يدعـو الله في السّـحر
يدعوه سرّاً وإعلاناً ليرزقهُ شهادةً بيدي ملحدٍ غـدرِ
ولّى صحابته عن حرّ ملحمةٍ وشدّ عمرانُ كالضـرغامِ الهـصـرِ
ونجد ليلي بنت طريف قد استهلّت رثاءها لأخيها الوليد بجعل قبره علماً فوق
الجمال.

وفي مرثية عمران بن حطان لأبي بلال (مرداس بن أبي أدية) تتجلى فيها العقلانية
حيث يرى أن الموت هو الحقيقة الكبرى التي يرسو عليها اليقين، والتي يشاهد المرء آثارها
أمام عينيه غابراً وحاضراً، وذلك حين يجعل من نفسه شخصاً آخر يخاطبه، فيتحدّثها
لترتحل إلى أرض لا موت فيها، إن كانت كارهة للموت، ثمّ يطبق عليها مباشرة دون أن
يترك لها فرصة الضياع في متاهات الخيال، فينفي لها وجود مثل هذه الأرض، ويكفيه
للتدليل على استحالة ذلك أن مرداساً وأصحابه قد ماتوا، ومن قبلهم مات الأنبياء
والرسل.

يقول عمران بن حطان في رثاء أبي بلال: ^{٢٢}

إن كنتِ كارهةً للموت فارتحلي ثمّ اطلبي أهل أرض لا يموتوننا
وثمة معانٍ طرحها الشعراء في الرثاء تتمثل في التألم والتأوه، وسكب العبرات في
المواقف مثال ذلك رثاء عبيدة بن هلال اليشكري لأخيه، وكذلك أن الخوارج هم حملة
راية الحق وأن خصومهم يدافعون عن الباطل، وإذا كثر القتل فيهم، فلا عار عليهم لأنهم
يموتون كراماً.

والمقام لا يسمح لنا بذكر الأشعار التي تناولت هذه المعاني الجليلة، ولكن ما ينبغي ذكره أن ألفاظاً قرآنية تكثرت في الرثاء، مثل: الجنان، الخلد، التقوى، الأبرار، النار، الغرف، الأرائك، ويتكرر الدعاء في رثائهم لموتاهم ولقبورهم ولبلادهم بالغيث والسقيا، مما يدل على أنهم من البوادي.

فخلاصة القول في رثاء الخوارج أنه جاء خالياً من التفجع الحاد، ومن أنة الحزن المستمرة، فلا وهن عند الفجعة، كما جاء الشعر بعيداً عن نزعة القنوط أو اليأس. ومعاني الرثاء إسلامية نابعة من القرآن الكريم، وعاطفة الشاعر صادقة.

ثالثاً: الزهد:

يعتبر الزهد ظاهرة بارزة في شعر الخوارج، ولكن دون وجود نظرة فلسفية متكاملة خاصة بهم، إلا أن لهم أفكاراً خاصة حول الحياة والموت وما بعدهما، تنبع من القرآن الكريم، ومما يلاحظ أن الخوارج لم يأخذوا برأي الإسلام كاملاً، فقد أخذوا جانباً، وأهملوا جانباً، وتطرفوا وغالوا في ترجيح هذا الجانب، مما جعلهم يعزفون عن التمتع بالدنيا وخيراتها، والأخذ بنصيهم من الحياة الدنيا.

وربما يعود أصل هذا التشاؤم للظروف القاسية التي عاشوها، إذ لم تنته دماؤهم طوال الحكم الأموي، حتى أعلن الخوارج الحرب على كل المسلمين، وحينما فشلوا في بناء المجتمع الذي كانوا يخططون له ويحلمون به، ولم يتمكنوا من تحقيق استقرار سياسي كان يُشددونه، نظروا إلى هذه الحياة نظرة تشاؤمية طغت على أفكارهم، فلم يروا من جمالها إلا قبحاً، وكانوا ينظرون بمنظار أسود تجاه كل شيء، مما جعلهم يشمئزون منها، ويؤثرون العيش الرغيد في جنان الآخرة.

أما النزعات الزهدية البارزة في شعر الخوارج، فتدور في رحي أفكارهم حول الحياة والموت، وتقوى الله التي يرونها ضماناً للخلود في جنان الآخرة.

فمما يلاحظ على الخوارج كثرة العبادة؛ فقد كانوا يقضون الليل في التهجد والصلاة، فتراهم ركعاً سجداً يتلون كتاب الله، فإذا مروا بآية فيها ذكر الله استدرّوا الدّمع من مآقيهم، وبكوا شوقاً إليه، فجعلوا الليل مكابدة لا تنقطع.

قال شاعرهم عيسى بن فاتك، يصف أبا بلال وأصحابه من الخوارج في الرثاء:^{٢٣}

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأرض في الدنيا هجوع
يُعالون النحيب إليه شوقاً وإن خفضوا فرهم سميع

ومن كثرة عبادتهم وتقواهم، فقد سيطر عليهم الخوف من عذاب الآخرة، مما دفع بعضهم إلى المغالاة في تأدية النوافل، حتى أصبحت جسومهم ناحلة قليلة اللحم — لقلة الطعام — لدرجة لا تجد معها الطيور حاجتها على تلك الهياكل الضامرة، الملقاة على أرض الفلاة، من ذلك قول فروة بن نوفل في رثاء الخوارج وقتلاهم:^{٢٤}

تظُلُّ عتاق الطير تجل حولهم يُعللن أجساداً قليلاً لحومها
لِطافا برها الصوم حتى كأنها سيوفٌ إذا ما الخيلُ تدمي كلومها

وهذه المكابدة في الحياة دفعتهم إلى السأم من الحياة، مما حدا بالحويرث الراسبي تقريع نفسه، ولومها على التمسك بالحياة الدنيئة التي لا خير فيها، ثم يدعوها إلى الحكمة والتعقل، والتخلي عن الحياة المذمومة التي يعيشها.

ففي رثائه لصالح بن مسرح التميمي أحد الزاهدين من الخوارج:^{٢٥}

أقول لنفسي في الخلاء ألومها هُبَلْتُ وعيني قد مللتُ من العمرِ
ومن عيشةٍ لا خير فيها دنيئةٍ مذممةٍ عند الكرام ذوي الصبرِ
سأركب حوباء الأمور لعلني ألاقى الذي لاقى المحرق في القصرِ
وما كان غمراً صالحاً غير أنه رَمَتْهُ صروفُ الدهر من حيث يدري

وعلى ذلك، أصبح من الجهل عند الخوارج التلهي بآمال كاذبة، في حين أن الإنسان يدفع إلى الموت دفعاً، فمن العبث انشغال الإنسان بحطام الدنيا الذي يجمعه لغيره، فبدلاً من ذلك، ليتزود بثروة التقوى والإيمان التي تساعد على مواجهة أيام الفقر البائسة في دار الخلود الأبدية، ومن ذلك موقف عمران بن حطان في أمر الحياة والموت:^{٢٦}

حتى متى تسقى النفوس بكاسها ريب المنون وأنت لاهٍ ترتعُ
أفقد رضىتُ بأن تُعلَّلَ بالمنى وإلى المنية كلَّ يومٍ تُدفعُ
أحلامُ نومٍ أو كظللٍ زائلٍ إن اللبيب بمثلها لا يخذع
فتزودنَّ ليوم فقرك دائباً واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع

وقد بلغ زهدهم حداً لم يعرف من قبل؛ إذ أصبحت أمنية شاعرهم أن يقتل ويُرمى بأعظمه في الخلاء لتشرها الرياح، أو حين يختار قبره في بطون نسور السماء العوائف، مثال ذلك قول الطرمّاح بن حكيم في أمنيته:^{٢٧}

فأقتل قعصاً ثم يُرمى بأعظمي كضغت الخلا بين الرياح العواصفِ
ويصبح لحمي بين طيرٍ مقيلهُ دوينَ السماء في نسور عوائف

وهكذا أصبح طلب الشهادة غاية يُسعى إليها، ونهاية يتمناها الزاهدون، فصاروا يتسابقون لنيلها، ويستعجلون الموت لتحقيقها؛ لأنها تجارة لن تبور، مثل ما قاله قطري بن الفجاءة حين تمّنى بلوغ الشهادة بقوله:^{٢٨}

هي الغاية القصوى الرغيبُ ثوابها إذا نال في الدنيا الغنى كلُّ تاجر

ومن طرائف ما ورد في هذا الباب موقف عمران بن حطان حين يلخص رأيه في الموت بواقعية منطقية، تشوبها نفحة فلسفية عميقة، فيرى الموت هو النهاية الحتمية لجميع المخلوقات، ثمّ لما كان الموت مخلوقاً، كان لا بدّ أن يتجرع هو — أيضاً — كأس الفناء، فيفنى ويموت:^{٢٩}

لا يُعجز الموتَ شيءٌ دون خالقه والموت فانٍ إذا ما ناله الأجلُ
وكلُّ كربٍ أمام الموت متّضعٌ للموتِ، والموتُ فيما بعده جَلُّ

وثمة حوار لهم آراء معتدلة، ونظرة أكثر تفاعلاً، حتى إنهم لا يرون الغنى واليسار أمراً مستنكراً في مجتمعهم الخارجي؛ لأنّ ذوي اليسار فيهم يتعطفون على ذوي الحاجة.

قال شاعر الإباضية في وصف الشراة في مجتمعهم:

متـراحـمـين ذـوو يسـارهم يتعطفون على ذوي الفقر
وذوو خصاصـتـهم كـأنهم من صدق عفتهم ذوو وفر
فكـذاك مـثـريهم ومقتـرهم أكرم بمقتـرهم وبالمثري

وكما أن الخوارج يتسابقون إلى الموت للفوز بالشهادة، فإن بعضهم ينتابه ما ينتاب الناس من الحرص على الحياة، وعمران بن حطان كان من الزاهدين، وكان سفيان الثوري يتمثل بأبيات عمران في الزهد التي يقول فيها:³⁰

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها ملالاً وهم فيها عراةً وجوعاً
أراها وإن كانت تحبُّ كأها سحابة صيف عن قليل تقشُّعُ
كركبٍ قضوا حاجاتهم وترحلوا طريقهم بادي العلامة مهيعُ

وخلاصة القول في شعر الزهد عند الخوارج، أن الشاعر الخارجي يستجيب لنداء الحياة ويحبها تلبية لعاطفة إنسانية تدفعه إلى ذلك، وتارة يود الإفلات من الحياة، لينتقل إلى جنات الخلد.

رابعاً: المديح:

لم يتزلف شعراء الخوارج إلى ذوي السلطان، ولم تكن غايتهم الارتزاق والتكسب؛ وذلك لزهدهم بملذات الحياة، واعتقادهم أن مال الأرض جميعاً لله، فليطلب — عند الحاجة — من الله العادل المقسم.

ونتيجة — لأن شعراء الخوارج هم زعماء القوم وقادتهم، في حين أن أصحاب السلطان من الأمويين وسواهم كفار ملحدون بنظر الخوارج — فقد تحول المديح إلى ثناء على أصحابهم، وتمجيد لمآثر زعمائهم، ويصبون الثناء على سلوكهم في إطار جماعة الخوارج.

ومن أجل هذه الفكرة التي يؤمنون بها، نجد الشاعر عمران به حطان يمدح ابن ملجم على فعلته الشنيعة بقتل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، حيث يرى الشاعر أن

تلك الضربة القاتلة غاية توصل صاحبها رضوان الله، ثمَّ يتجلى حقه الدفين، والسم الزعاف على الإمام علي كرم الله وجهه، فيرفع من شأن قاتله، حتى يدخله الجنة على فعلته القبيحة (أهلكه الله)، وفي الوقت نفسه نجد الشاعر يمدح جماعة المجاهدين من الخوارج الذين أشبعت الطير من لحومهم، والذين حفظوا دينهم من الشوائب، ثم يعود إلى ذكر الشراة وفكرهم، فإذا هو العدل ونشره بين الناس، وأخيراً يتلوم حين لا يجد له أنصاراً: ٣١

كفاه مهجة شرّ الخلق إنسانا	لله درُّ المرادي الذي سَفَكَتْ
مما جنّاه من الآثام عريانا	أمسى عشية غشّاه بضربته
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا	يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بما
أوفى القرية عند الله ميزانا	إتني لأذكره حيناً فأحسُّبه
لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا	أكرم بقومٍ بطون الطير قيرهم

وعلى الرغم من جنوح الخوارج إلى هذه الاتجاه في المديح، إلا أنهم لم يتخرجوا من استخدام الشعر وسيلة للتعبير عن عرفاتهم بالجميل، وامتثالهم لصانع الخير معهم، ولو كان من خارج معسكرهم، فنجد عمران بن حطان يمدح الأزدي كما في قوله: ٣٢

نزلنا بحمد الله في خير منزلٍ	نُسِرُ بما فيه من الأنس والخفَرُ
نزلنا بقوم يجمع الله شملهم	وليس لهم عود سوى الجحد يعتصرُ
من الأزدي أن الأزدي أكرم معشرٍ	بمانية طابوا إذا نُسِبَ البَشَرُ

ويلاحظ في مدحهم اعتمادهم على مقاييس المدح المألوفة عند العرب في الجاهلية؛ كأصالة النسب، وحماية الجار، وإكرام الضيف، وغيرها.

خامساً: الهجاء:

جاء الهجاء في شعر الخوارج ضمن العقيدة الدينية التي يعملون من أجلها، وفي إطار الأهداف السياسية التي يسعون لتحقيقها، وكان أول ما لجؤوا إليه في هجائهم رمي

مخالفهم من المسلمين بعصيان الله حين رضوا بتحكيم الضالين الجبارين، ما دام هؤلاء قد ضلوا الطريق وانحرفوا عن جادة الصواب، فلا بدّ من التبرؤ منهم، يقول المصك الطائي: ^{٣٣}

أبرأ إلى الله من سيفٍ وشيعتهِ ومن عليٍّ ومن أصحاب صفينا
ومن معاويةَ الغاوي وشيعته أخزى إله الورى تلك العثانينا

وقد استباح قطري بن الفجاءة في شعره دماء خصومه، ورماهم بالكفر، واستعذب الجهاد فيهم كما في قوله: ^{٣٤}

فلو شهدتنا يوم ذاك وحيننا تبيح من الكفار كلَّ حريم
رأت فتية باعوا إليه نفوسهم بجنّات عدنٍ عنده ونعيم

هذا شأن الخوارج مع المسلمين، أما هجاؤهم فيما بينهم فلم يخرج عن دائرة التلاوم والتفريع الخفيف، ومن ذلك ما بعث به قطري إلى سميرة بن الجعد الذي صار نديماً للحجاج، وغرّته مباحج القصر ليعود عن غيّه، ولا يكون ذلك إلا بالتكفير عن الذنوب، وهذا يتطلب التوبة والشراية طلباً للشهادة: ^{٣٥}

وتبّ توبة تُهدي إليك شهادةً فإنك ذو ذنبٍ ولست بكافرٍ
وسر نحونا تلق الجهاد غنيمَةً تفدك ابتياعاً راجحاً غير خاسرٍ

ونجد في بعض شعر الخوارج لومهم لبعضهم، حيث يتخذ طابع التنديد والنقد الحاد، ولكنه بأسلوب مبطن، وألفاظٍ مهذبة، ومن ذلك لوم زيد بن جندب للأزارقة عندما وقع الخلاف بينهم، حيث نراه يبعث بالتهنئة لأعداء الشراة من المخليين، ذلك بعد أن تفرق القوم، وتسلمت عليهم البغضاء، وأصابهم التجابن، وما كان هذا إلا بعد أن تلهى هؤلاء الأزارقة بالهزل دون الجد، وبالقول دون العمل، ثم يعود فيصور نفسه بأنه الخارجي الصادق، فيقول: ^{٣٦}

قل للمحلّين قد قرّت عيونكم بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنّا أناساً على دينٍ ففرّقنا قرعُ الكلام وخلط الجِدُّ باللعب

ما كان أغنى رجلاً ضلَّ سعيهمُ عن الجدال وأغناهم عن الخطب
إني لأهـوئُكُم في الأرض مضطرباً ما لي سوى فرسي والرمح من نشبِ

ويلمح عند بعضهم نوعاً من التأنيب الذاتي، مما جعلهم يتلاومون لتخلفهم عن إخوانهم، والتحسر على ما فاتهم، وثمة شاعر لم يجد العذر في خذلان صاحبه، وتقصيره بحقهم، فيشكو لله ليحكم في هذا كما في قول عمرو بن الحصين الأباضي:

كَمْ من أولي مِقَّةٍ صَحبتهم شَرُوا فخذلتهم ولبئس فعلُ الصاحبِ

وعندما يهجو الخارجي، فإنه يبقى أسير العقيدة الخارجية بشكل عام، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود اتجاه تقليدي مألوف في المهجاء، فقد يلجأ إلى التعرض لمظهر المهجوع الشخصي، وتكوينه الخلفي أو لون المهجوع أو عرفه أو أسنانه، إلا أن ذلك كان محدوداً لا يمثل اتجاهها ظاهراً في شعر الخوارج.

سادساً: الفخر:

مما هو معلوم أن الخوارج ينتمون إلى قبائل، حيث أذابوا عنجهية الفرد في بوتقة الجماعة، وأذابوا عصبية الجماعة في عقيدة الشراية والخروج، وظاهرة الأنا ونحن تبرزان بشكل جلي عند شعراء العصرين الجاهلي والأموي، ولا سيما أن الإنسان بجبلته يميل إلى إبراز فضائله أمام أقرانه، ولا تذوب الأنا إلا إذا انصهرت في بوتقة الجماعة، وإذا تشاؤف الناس وتفاخروا بالنسب والحسب، فإن شعراء الخوارج قد استحدثوا نسباً آخر ليس له صلة بالأبشار، وإنما هو نسب الدين الذي اعتنقه، يقول عيسى بن فاتك:^{٣٧}

أبي الإسلام لا أبَ لي سِوَاهُ إذا فخرُوا بيكراً أو تمميم
كلا الحيين ينصر مدعيه ليلحقه بذئ الحسبِ الصميم
وما حسبٌ ولو كرمت عروقُ ولكنّ التقى هو الكريمُ

ويلاحظ في فخر شعراء الخوارج بأنفسهم، أنهم يربطون بين أناهم الذاتية وبين الفكرة التي يعملون من أجلها، فهذا الشاعر ابن وهب الراسبي الشاري كان يفتخر بنفسه ومذهبه أو فكرته، حيث أخذ يرتجز يوم النهروان:^{٣٨}

أنا ابن وهبِ الراسبيّ الشاري
أضربُ في القوم لأخذ الثار
حتى تزول دولة الأشرار
ويرجع الحق إلى الأخيار

حتى إن بعض الشعراء نلمح في شعرهم أنه في إطار العقيدة الخارجية، كان يدلل على إكرامه الضيف خوفاً من عقاب الله ومن ذلك قول بيهس بن صهيب.

ومما هو جدير بالذكر في مجال الفخر عند شعراء الخوارج، أنهم يتعدون النطاق الفردي، ولا يستطردون في فضائلهم الذاتية، ولكنهم يرغبون في مشاركة أصحابهم لهم، فيتحولون من حديث الأنا الشاعر إلى نحن الخوارج، ومثال ذلك قصيدة قطري بن الفجاءة الذي يتحدث يوم دولاب لا يحتكر النصر لنفسه، بل يجعل الفضل في هذه المعركة لشباب الخوارج الذين باعوا أنفسهم لله، من ذلك قوله:

فلو شهدنا يومَ ذاك وخيلنا تُبِيحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمِ
رأت فتية باعوا إليه نفوسهم بجناتِ عدنٍ عنده ونعيم

وثمة شعراء ساروا على نهج قطري، ولا سيما عندما يكونون في طريقهم إلى لقاء أعدائهم في القتال.

الخاتمة:

في ضوء ما عرضناه عن شعر الخوارج، وجدنا أن ثمة خصائص له، وهي كما يأتي:
أولاً: التزم شعراء الخوارج في قصائدهم خطأً واحداً لم يجيدوا عنه سوى نادراً، فقد التزموا في شعرهم اتجاهاً لم يؤلف عند معاصريهم من شعراء الفرق الإسلامية الأخرى، فكان لهم قصب السبق، ومن هنا فقد جاء شعرهم ملتزماً في إطار العقيدة الخارجية، مما أدى إلى تشابه شخصياتهم الشعرية، ومن ثم تماثل شعرهم، وكان ذلك من أسباب اختلاف نسبة القصائد إلى أصحابها.

ثانياً: كان كثير من أصحاب الشعر من زعماء المذهب الخارجي، فكان شعرهم خلاصة تجربة ذاتية خالصة، بعيدة عن الرياء والتكلف، وكان معظمهم من البوادي، أي أن حضارة المدنية لم تفسدهم، فكان شعرهم صدىً لمزايا البدوي في الصراحة والجرأة، مع صفاء في الطبع، وصدق في العقيدة، ومثال ذلك صراحة قطري بن الفجاءة، حين بين لنا عن خبيثة نفسه، حين أصابه خوف شديد من المهلب بن أبي صفرة.

ثالثاً: جاء الشعر الخارجي — في أكثره — يخاطب المشاعر والوجدان وذلك لإلهاب المشاعر، واستثارة حماس الناس بالكلمات المؤثرة ولا سيما أن الأكثرية الساحقة من الخوارج كانوا من الأعراب.

رابعاً: لم ينقل الشعر الخارجي عقائد الخوارج الرئيسية التي التزموا بها، ولم يتحدثوا عن رأيهم في الإيمان، أو ارتكاب الكبائر، والوعد والوعيد، ولم يتعرضوا لقضية الإمامة وغيرها من العقائد، ولم يشيروا قط إلى الفرق الخارجية الأخرى، إلا ما كان من أمر القعدة من الصفرية.

خامساً: ظهرت العصبية عند زعيم الأزارقة قطري بن الفجاءة في شعر دولاب، فضلاً عن الطرماح بن حكيم الذي كان شديد العصبية لحد الإفراط.

سادساً: شعر الخوارج ظهر فيه انفلات من قوانين القصيدة الجاهلية، فلم يترسّموا طريقة الشعراء القدامى، بل ساقتهم أصالتهم إلى التجديد في الشكل، وانطلقوا في شعرهم على السجية بما يتلاءم وغاية الشعر الذي يرمون إليه، فهم قد استغنوا عن المقدمة الغزلية والطلبية، واختلفت أغراض القصيدة بحيث أصبحت تدور حول معنى واحد، بدلاً من تعدد فنونها وأغراضها كما في القصيدة الأموية بشكل عام.

سابعاً: قصائد الشعر الخارجي عبارة عن نتف أو مقطوعات شعرية، وما شد عن ذلك سوى قصيدة عمرو بن الحصين التي تجاوزت الخمسين بيتاً.

ثامناً: جدد شعراء الخوارج في لغة الشعر، فكانوا يتوخون السهولة واليسر، ولم يكن همهم إبراز براعتهم اللغوية، فامتاز شعرهم بالسلاسة والدقة، بعيداً عن الغرابة، وبعد عن

الصنعة الفنية، فكان شعرهم منكشف المعاني، صريح اللفظ، وكانت الجزالة والقوة
ظاهرتان ملازمتان لشعرهم.

تاسعاً: بدا أثر القرآن واضحاً عندهم من خلال كثرة استخدامهم للألفاظ
والتراكيب والمعاني القرآنية، وكان من شعرهم تضميناً لبعض الآيات.

عاشراً: تميز شعر الخوارج بكثرة الأرجاز.

وخلاصة القول في شعر الخوارج عامة، أنه شعر محوره الأنا ونحن، وإطاره المذهب
الخارجي، وغايته جنة الله.

هوامش البحث:

¹ انظر: نايف محمود معروف، الخوارج في العصر الأموي: نشأتم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، (بيروت: دار
الطبعة، ط ٣، ١٩٨٦)، ص ٢٤٧. وقد استفدنا منه في قضايا كثيرة عن الخوارج وشعرهم وشعرائهم؛ وانظر ما
ذكره د. ر. بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨م)،
ص ٦٠٥، إذ أشار إلى ثلاثة شعراء من الخوارج، وهم: عمران بن حطان، والأعشى الشيباني، وسابق البربري،
وذكر عدد الأبيات لكل شاعر دون ذكرها؛ ودراسة شوقي ضيف، العصر الإسلامي، (مصر: دار المعارف،
ط ٤، ١٩٦٣م)، ص ٣٠٢ - ٣١٤، وقد أشار ضيف إلى شعراء الخوارج والمعاني الدينية التي تضمنها شعرهم،
كقطري بن الفجاءة ويزيد بن حبناء، وأم حكيم، وأبي بلال مرداس، وأم عمران الراسبي وعمرو بن حثين،
وتوسع في الشاعر عمران بن حطان والطرماح، وذكر قصائدهم الشعرية، وهي موضوعات تتشابه مع ما
ذكرناه في دراستنا هذه.

² الأبيات في: نايف محمود معروف، ديوان شعر الخوارج، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٣م، القصيدة رقم: ١٨٢.

³ انظر: السابق نفسه: القصيدة رقم: ٢٨٩.

⁴ انظر: السابق نفسه، ص ٥٠؛ والشطران في: ابن أبي حديد، عز الدين عبد الحميد المدائني، شرح نهج البلاغة،
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥-١٩٦٧م. ج ١، ص ٢٠٤؛ والطبري، أبو جعفر
محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، طبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٣٩م، ج ٣، ص ٣٣٨٣، المبرد، أبو
العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ١٠١؛
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،
دار الرجاء، مصر، ١٩٣٨م، ج ٤، ص ٤١٤؛ والبلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق
محمد حميد الدين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، ٣٧٣/٢.

- ^٥ انظر: ابن أبي حديد، عز الدين عبد الحميد المدائني، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٦٢.
- ^٦ انظر: محمود نايف معروف، ديوان شعر الخوارج، القصيدة رقم: ٩٨.
- ^٧ السابق نفسه، القصيدة رقم: ٢١٨.
- ^٨ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٣٣٨١.
- ^٩ انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، كتاب عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٠م، ج ١، ص ١٧٥.
- ^{١٠} انظر: ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد يحيى الدين عبد الحميد، لا ط، القاهرة، ١٩٤٩م، ج ٣، ص ٢٥٦.
- ^{١١} وردت معظم هذه الأبيات في مصادر متنوعة، فمثلاً الأبيات ١ - ٧ وردت في: الشريف المرتضى، أمالي المرتضى (غور الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٥٤م، ج ١، ص ٦٣٦؛ والتبريزي، يحيى بن الخطيب، شرح ديوان الحماسة، مصر، ١٢٩٦هـ، ١٨٧٨م، ج ١، ص ٩٦؛ وعباس، إحسان، شعر الخوارج، دار الشروق، بيروت، ط ٤، ١٩٨٢، ص ١٢٣. وقد ذكر إحسان عباس مصادر كثيرة عن هذه الأبيات.
- ^{١٢} انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٥٠٨.
- ^{١٣} انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ج ١، ص ١٨٢.
- ^{١٤} المغفر: زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة. التجفاف: آلة للحرب يتقى بها كالدرع للفرس والإنسان. السنور: لبوس من جلد في الحرب كالدرع. انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، تهذيب لسان العرب، إشراف: عبدأ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ج ٢، ٢٧٣، و ج ١، ص ٦٣٠.
- ^{١٥} انظر الأبيات في: المرزباني، محمد بن عمر، أشعار النساء، تحقيق: سامي مكى العاني، وهلال شاهين، بغداد، ١٩٧٦م، ص ١٩٧.
- ^{١٦} انظر: المرزباني، أشعار النساء، ص ١٩٥، ما عدا البيت الأخير (فإذا سمعت أنينها في ليلها***.....) في: ابن عبد ربه، العقد الفريد، طبعة بولاق، ودار الكتب المصرية، طبع دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩م، ج ٣، ص ٢٦٠.
- ^{١٧} انظر الأبيات من (١ - ٦) في: البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، مصر، ١٢٩٩هـ، ١٨٨١م، ج ٣، ص ٦٠٥؛ والتبريزي، شرح ديوان الحماسة، ج ٢، ص ١٨٦؛ والمرزوقي، شرح حماسة أبي تمام، تحقيق عبد السلام هارون، وأحمد أمين، القاهرة، د. ت، ج ٢، ص ٩٠٢.
- ^{١٨} انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ١٣٢.
- ^{١٩} انظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٥م، مادة (جوسق).

- ^{٢٠} وهي (١- ٥٦) بيتا وردت في: الأصفهاني، أو الفرج، الأغاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، طبعة بولاق ودار الكتب المصرية، ودار الشعب، القاهرة، ١٠٦٩م، ج ٢٠، ص ١١١.
- ^{٢١} انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ١٦٩.
- ^{٢٢} انظر الأبيات من (١ - ١٢) في: ابن عساكر، تاريخ دمشق، دار الكتب المصرية، والمكتبة التيمورية، ج ٣٠، ص ٤١٩.
- ^{٢٣} انظر الأبيات: ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٤٥٠.
- ^{٢٤} انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٠٣.
- ^{٢٥} انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ٨٧.
- ^{٢٦} انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، مصر، ١٣٦٩هـ، ١٩٤٩م، ج ٣، ص ٢٨٤؛ وابن حيان، روضة العقلاء، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ص ٣٠١.
- ^{٢٧} انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٦٤.
- ^{٢٨} انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الفضة، طبعة باريس، ج ٥، ص ٣١٥.
- ^{٢٩} انظر: الأصبهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ١٥١.
- ^{٣٠} انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مصر، ج ٩، ص ٥٣.
- ^{٣١} انظر: الأصبهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ١٤٧؛ والشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد فتح الله بدران، القاهرة، ١٩٥٦، ج ١، ص ١٢٠.
- ^{٣٢} انظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٩٢.
- ^{٣٣} انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ٩٩.
- ^{٣٤} انظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ج ٢، ص ١٥١.
- ^{٣٥} انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٥، ص ٣١٥.
- ^{٣٦} انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مصر، ١٩٦١م، ج ١، ص ٢٦٧.
- ^{٣٧} انظر: المرزباني، أبو عبدالله محمد بن عمران، معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، مصر، ١٩٦٠م، ص ٢٥٨.
- ^{٣٨} انظر: ابن أعثم، كتاب الفتوح، ج ٤، ص ١٣٢، ط حيدر آباد. نقلاً عن: عباس، إحسان، ديوان شعر الخوارج، ص ٣٢٠. حيث لم يتوفر لنا هذا المصدر للعودة إليه لكونه مخطوطاً.